صور من الحياة :

هوى على الشاطىء

للاستاذ كامل محمود حبيب

— ٣ —

... وانطوت أيام وحانت ساعة الوداع ، فوقف قلب الفتى الشاطىء — إلى جانب قلب يناجيه بكلمات تتأجج فيها زفرات اللوعة وتنبعث منها مرارة الأسى . وتعانق القلبان ساعة من زمان ثم افترقا ليتلاقيا — بعد حين — فى القاهرة .

غادر الفتى الأسكندرية ، مسرح الهوى والغرام ، ومهد السعادة والرضا ؛ غادرها وفى قلبه غصة وفى فؤاده شجن ، فانقبضت أساريره وغامت الدنيا فى ناظريه ، وغم عليه وجه الرأى ، فانطوى على خواطره حينا يتلمس الخلاص فلا يجده ، ويطلب السلوى فتعز عليه .

ورأت الزوجة فى زوجها أمراً غريبا عنها ، رأته جهم الوجه مقطب الجبين ساهم الفكر ، وبدالها أن صدمات من الضيق والأسى توشك أن تحترمه فتعصر روحه وتقتل أمله ، فراحت تحوم حواليه تريد أن تستشف خلجات ضميره أو أن تنفذ إلى أغوار سره فما استطاعت ، وهى فتاة قروية تعوزها الحيلة وتفتقر إلى الدهاء ، فأمسكت على مضض وإن قلبها ليحدثها بخطر ذى بال ، والصبية إلى جانبها ينكرون إهمال الرجل لهم وانصرافه عنهم ، وهو كان بهم حفياً رحيما ، يداعبهم حتى تستقر نفوسهم ، ويلاعبهم حتى يغمرهم البشر . أما هذه الدار فقد حال حالها ، فهى الآن تعتمد على أسس واهية من نزوات طائشة تقسم قلب الزوج فتستلبه الرأى والصواب ، وتقوم على عمد متداعية من الشك الذى تفهق به نفس الزوجة فينتزع عنها الراحة والهدوء . والصغار بينهما يعانون الاهمال والضياع فى غير ذنب .

ومرت الأيام تذكر الفتى الساذج بتاريخه يوم أن كانت روح الدين تضطرم فى نفسه فتردعه عن الغى وترده إلى الدار والزوجة والولد ؛ على حين كان الزمن يسدل أستار النسيان — رويداً رويداً على لذات الشاطىء التى نشق عبيرها الجذاب ورشف رحيقها

قتلته ؟ اضربوا عنقه . والفارس الذى منعه الماء مات عطشان بالرغم من أنه كان يسقى الماء حتى يبغر ، ثم يعود فيشرب حتى يبغر ، وما زال كذلك حتى لفظ أنفاسه . والشقى بحر بن كعب — وقد سلب الحسين لباسه — كانت يداه فى الشتاء تنضحان الماء ، وفى الصيف تيبسان كأنهما عود . وأما عمر بن سعد قائد الجيش فقد قتل — فيما بعد — فى داره . وأما عبيد الله بن زياد والى العراق فقد قتل فى ثورة المختار الثقفى ، وذهبوا برأسه إلى على بن الحسين فوضعوا إليه ظهرا ، وهو يتغدى فقال : سبحان الله ، ما افتر بالدنيا الا من ليس لله فى عنقه نعمة . لقد أدخل رأس أبى على عبيد الله بن زياد وهو يتغدى . وفى بعض الكتب أنه لما انتهب عسكر الحسين وجد فيه طيب فما تطيبت به امرأة إلا برصت . ثم خرجت الخلافة من أسرة معاوية بعد قليل ، وكذلك كتب عبد الملك بن مروان لقائده الحجاج يقول : جنبنى دماء أهل هذا البيت ، فانى رأيت بنى حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين .

(وبعد) فالى أى حد بلغت فظاعة هذه الجريمة ؟ أن بعض السلف يجيبنا عن ذلك فيقول : لو كنت فيمن قتل الحسين ودخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل يجيبنا عنه بعض اليهود حيث يقول لبعض المسلمين : أن بينى وبين داود سبعين أبا ، وأن اليهود إذا رأونى عظموني وعرفوا حقى ، وأنه ليس بينكم وبين نبيكم الا أب واحد قتلتم ابنه . ثم ماذا ، ثم تنشد مع السيد الحميرى .

امر على جدث الحسين وقل لأعظمه الزكيه
يا أعظما لازلت من وطفاء ساكبة رويه
وإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطيه
وابك المطهر للمطهر والمطهرة النقيه
كبكاء معولة أتت يوما لواحدها المنيه

ألا رضى الله عن الحسين ، ولعن الذين منعوه الماء ، وجازى قاتليه بما هم له أهل .

على العمارى
لمعهد العلمى — أم درمان

الحلو ، هناك فى الأسكندرية على حين غفلة من الدين والزوجة ، فسكنت نوازع الخلقة فى قلبه، وهدأت نزوات الطيش فى فؤاده، غير أنه لم ينس فتاته ... الفتاة التى تفتح لها قلبه أول مرة فرأى فيها فنوناً جميلة من المرأة صاغتها يد الحضارة الصناع ، فنوناً جميلة جذابة أفتقدها فى زوجته الريفية التى حيستها التقاليد القاسية بين أسوار من العمى والجهل .

وهبت أولى نسمات الشتاء تحمل طياتها خبر قدوم الفتاة التى أحب فهب يلقاها فى نشوة وطرب ، وتلاقيا على ميعاد .

واستلب الفتى من وعيه — فنسى عقله ودينه ، فانطلق على سننه والفتاة إلى جانبه تجذبه إليها فى رفق وتسيطر عليه فى هوادة وتلقاه فى بشر ، وتفتح أمامه باب السينما وتمهد له السبيل إلى المسرح وهو ينقاد لها فى سهولة ويسر ، فانشغل عن الدار والزوجة والولد ، وطار إلى المتعة لا يعبأ بشىء ، ومن ورائه زوجته تتقلب فى حرقة الوحدة والريبة ، وتتلظى بنار الأسى والضيق ، ثم لا تستطيع أن تجذبه إلى الدار ولا أن تردّه عن الغواية .

وتيقظ ضمير الفتى — ذات مرة — فأحس بأنه استعبد لفتاة من بنات حواء فشعر بمعنى القيد فى رجله والذل فى عنقه ، فأراد أن ينزع عنه ربقة الذل ، ولكن شيطانه هب — إذ ذاك — يتفلسف له فلسفة شيطانية ويوسوس له قائلا — لاعليك ياصاحبى فهذه هى زوجة القلب تجد إلى جانبها النور والسعادة والمتاع ، وتلك هى زوجة العقل تلمس فى ظلها السكون والعون والخادم . ولا ضير عليك إن أنت جمعت بين الزوجتين فى آن ، لتستمتع لذاذات حرمتها زماناً » فاطمأن الفتى للخاطرة ، والفتاة إلى جواره تطمع أن تكون للفتى وأن يكون هولها . وما ترامى لها — بعد — أن الفتى زوج وأب زوج وأب ، فراحت تحتال للأمر بطريقة شيطانية صاغتها يد الحضارة الصناع فى دقة وإتقان

وتناهى إليها — بعد حين — أن فتاها زوج وأب فما أزعجها الخبر وما أقعدها عن الغاية التى تصبو اليها فشمرت تبتغى الوسيلة فى غير ضعف ولا فتور . ولا عجب فإن فى المرأة روح شيطان مارد درب على الختل والخداع والشر يبتغى الغاية فلا تعجزه الوسيلة.

وهمت الفتاة إلى غايتها تتلمس الطريق ، ومن ورائها أمها العجوز تدفعها وترسم لها السبيل ، وتحدثها « لا بأس عليك فهو يندفع إليك فى غير صبر، ويهفو نحوك فى غير أناة ، وإن يحس عنتا فى أن يفتديك بزوجته وأولاده »

وتظاهرت الفتاة وأمها على الفتى الساذج فختلاه عن عقله وعن رجولته ، فألقى إليهما السلم فى ضعف ، وقد أعماه الهوى الجامح عن الهوة السحيقة التى يوشك أن يتردى فيها .

ودخل الفتى دار الفتاة — لأول مرة — فألقى يد المدنية قد انبثت بين ثناياها فرتبتها على نسق يثير الدهشة والإعجاب، ووجد آثار النعمة قد تغلغلت فى أضعافها فهى تتألق فى كل مكان وتنبعث من كل ركن ، فانجذب لها قلبه وعقله فى وقت معاً ، وماله عهد بما يرى ويحس ، فتمنى — فى أعماق نفسه — لو أن له مثل هذه الدار فينعم بما فيها من ترف وثراء ، ونسى أن يهرج الحضارة زيف لا قلب له ينبض ، وغاب عنه أن ألق المدينة سراب لا عقل له يفكر به . وإلى جانبه أم الفتاة تمكر به فى لباقة فتخدعه عن أهله وتختله عن نفسه

آه ، لقد أحس صاحبى بالحرية طفرة واحدة ، الحرية التى لا تعرف الأخلاق ولا تؤمن بالكرامة ولا تسمو إلى الإباء . لقد انطلق الطائر السجين من بين قضبان القفص الضيق يبتغى الحرية والانطلاق فوجد فى جناحيه الذبول وفى قوته الوهن وفى جلده الخور ، فما استطاع أن يرد عن نفسه المكر والخداع حين راحت عجوز من النساء توسوس له وهو يندفع على آثارها فى حماقة وغى. والتاث عقل الفتى فانطلق — ذات مساء — إلى دار الفتاة التى أحب ليكون زوجاً لها ؛ وليكون رباً للدار التى انجذب لها قلبه وعقله فى وقت معاً؛ وليذر من خلفه زوجة فيها الوفاء والاخلاص، وفيها الطاعة والاستسلام ، ليذرها وحيدة بين الصبية تعانى شدة القر وألم الوحدة ولذع الخيانة .

وشعر الفتى يوم أن خلا به وبفتاته المكان ... شعر بأنه دخل الجنة التى كان يطمع فيها ونسى الزوجة الأولى هناك يمصرها الضيق ويفربها الأسى وتمركها الغربة . وعز عليها أن تعيش ساويلاف هذا القيد فأرسلت إليه تقول « إذا لم تكن فى حاجة إلى فسرحنى سراحاً جميلا ودعنى أسافر إلى أهلى فى القرية ، فأنا هنا — كما تعلم — أجد مس الغربة والوحدة ولا أستطيع أن أتشبث بسوى رجولتك لأننى بعيدة عن أهلى ومن ذوى قرابتى